أخذت منها القصاصة ووضعتها في جيب قميصي.

كثيرا ما أضج بأم عبد الله وأصرفها، فتحمل كل ما يخصها وتغادر وهي تقسم أنني لن أرى وجهها أبدا، أقول: عين المراد. ولكني بعد يومين أو ثلاثة أرسل في طلبها فتأتي ونتصالح. نتصالح كثيرا لأننا نتشاجر كثيرا. تشكو لبناتي: «أرتب البيت، يقول ضيعت الأوراق، وغيرت مكان الكتب. أترك البيت على حاله، يلومني ويقول: أصبح البيت مزبلة، أنت مهملة! أتحدث معه يقول ثرثارة، تقطعين على التركيز في عملي. أسكت، يشكو من سكوتي». سألتني بنت من بناتي: «صحيح يا بابا أنك قلت لأم عبد الله إنها مكنسة كهربائية؟!» قلت: «المكنسة الكهربائية أرحم، صوتها مزعج ولكنه رتيب يمكن التعود عليه. أم عبد الله قضت اليوم في البيت دون أن تبادلني كلمة واحدة، كلما فتحت معها بابا للكلام أغلقته، وظلت تهبد في البيت، تنفض سجاجيد من الشرفة، تدفع بمقاعد ثقيلة من أماكنها، تزيل الغبار عن الأثاث وسواتر النوافذ بضربها ضربا، وعندما انتهت من ذلك ودخلت المطبخ وقلت أخيرا انتهينا، أخذت تخبط وترقع في الأطباق والحلل والأكواب. كدت أصرخ فيها أكثر من مرة، ولكني ضبطت أعصابي وتحليت بالصبر ولم أقل سوى تلك العبارة. ما الذي صايقها؟!»

لا أفطر إلا عندما تأتي أم عبد الله، وعادة ما نجلس في المطبخ سويا لشرب الشاي وتناول الإفطار. عندما أطلب منها أن تحضر لي الشاي في الصالة أو المكتب، أو تفعل هي ذلك دون طلب، نكون تشاجرنا في اليوم السابق أو الأسبق، يفطر كل منا وحده، وعادة ما يختصر الكلام بيننا إلى أسئلة مقتضبة أو مطالب تصاغ في شبه جملة، وأحيانا، وبلا سبب واضح، يأتيها خالها الطيب، يصفو مزاجها وتتحرك في البيت، تنجز عملها، وهي تغني، والحق أن صوتها جميل، فيه عمق وحزن رائق، تؤدي الأغاني دون أي نشاز. أقول لها إن لها صوتا جميلا، تقول: لو رحت مدارس كان يمكن أكون مغنية، وكان